أطلق عليه المتأخرون أنه « حمار الشعر » ، لكن من المهم أن نفهم عنه بعض صفاته التى تفيد فيما نحن بصدده .

لقد اعتبر « الرجز » شكلا مستقلا من أشكال الشعر ، فيقابل أحياناً بين « الرجز والقصيد » ويوصف الشاعر بأنه « راجز ومُقَصِّد » أو « راجز فقط » أو « مقصد فقط » ، واعتبر فى تلك المقابلة بأنه فى مرتبة أقل من مرتبة « القصيد » وأن محترفيه أقل من الشعراء منزلة . ويصور أبو العلاء المعرى ذلك فى مشهد ساخر من رحلته مع ابن القارح فى رسالة الغفران « فيقول » ويمر — ابن القارح — بأبيات ليس لها سموق أبيات أهل الجنة ، فيسأل عنها فيقال : هذه جنة الرجز ، يكون فيها أغلب بنى عجل والعجاج ورؤبة وأبو النجم وحميد بن الأرقط وعذافر بن أوس وأبو نخيلة ، وكل من غفر له من الرجاز ، فيقول : تبارك العزيز الوهاب ، لقد صدق الحديث المروى (إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها) وإن الرجز من سفساف القريض ، قصرتم أيها النفر ؛ فقصر بكم »[1] وهؤلاء الرجاز الذين ذكرهم أبو العلاء هم قمة أهل فنه وصنعته ، وقد عاشوا فى عهد الأمويين وطرفاً من الدولة العباسية ، وهو عصر الاحتجاج بكل ما ورد فيه من مادة اللغة ، وكان منه الرجز الذى حظى بعناية خاصة من النحاة مع قصور مكانته عن بقية الشعر ، وأنه — كما قال أبو العلاء — من سفساف القريض ، لكن كان فيه من السمات اللغوية ما قدمه عندهم على كل شعر سواه .

والسمة العامة فى الرجز هى « الإيغال فى البداوة والوعورة » سواء أكان ذلك فى موضوعاته أو ألفاظه وجمله ، فموضوعاته غالباً عن البادية ودوابها ومشاهدها ، كوصف الخيل والإبل أو السحاب أو السراب ، وألفاظه حوشية مغرقة فى الغموض ، بحيث لا تكاد تفهم إلا بعد الجهد

---

(١) رسالة الغفران ص ٣٧٥ .